**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**المحاضرة رقم : 03**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**دراسة تحليلية لرواية " زينب" لمحمد حسن هيكل**

**ـ التعريف بالكاتب :**

محمد حسين هيكل من مواليد 1888 أديبٌ وسياسي مصري كبير، ولد في قرية كفر غنام في مدينة المنصورة، بمحافظة الدقهلية، مصر العربية.

درس القانون في مدرسة الحقوق الخديوية بالقاهرة وتخرج منها في عام 1909م. انتقل إلى فرنسا للدراسة بجامعة السربون بباريس وحصل على درجة الدكتوراه في الحقوق سنة 1912م، ولدى عودته إلى مصر عمل في سلك المحاماة مدّة عشر سنوات، كما اشتغل بالصحافة. أسّس حزب (الأحرار الدستوريين) ،وجريدة (السياسة الأسبوعية) 1926.تولّى وزارة المعارف 1938 . أكثر من مرّة كما تولى رئاسة مجلس الشيوخ سنة 1945 . توفي سنة 1956 . من مؤلفاته : رواية زينب ، حياة محمد ، هكذا خُلقت .

**ـ ملخص رواية " زينب " 1914 :**

تُصنّف رواية (زينب) في نظر النقاد العرب كأول رواية عربية تستوفي الشّروط الفنيّة المتعارف عليها في الغرب . رغم أنّ سؤال السبق عن تاريخ كتابة أول رواية عربية مازال قائما إلى اليوم لأنّ مؤرخي الأدب العربي تجاهلوا جهود جبران خليل جبران (1883ـ1931) التّأسيسية للرواية العربيّة ، علما بأنّ أعماله صدرت قبل رواية زينب فـ (الأجنحة المتكسرة) صدرت عام 1912 ،و(الأرواح المتمردة) عام 1908، وهو الأكثر مقروئية في العالم العربي، بل إنَّ كتابا ككتاب (النّبي)1923 يعتبر نصا عالميّا بامتياز فقد ترجم إلى حوالي 123لغة في العالم وهو من أكثر الكتب مقروئية في العالم .

ظهرت رواية (زينب) 1914 في أول أمرها بعنوان (مناظر وأخلاق ريفية) بتوقيع مستعار(مصريّ فلاح)، وتنطلق أحداث الرواية " في هاته الساعة من النهار حين تبدأ الموجودات ترجع لصوابها، ويقطع الصمت المطلق الذي يحكم على قرى الفلاحين طول الليل آذان المؤذن، وصوت الديّكة، ويقظة الحيوانات جميعا من راحتها، وحين تتلاشى الظلمة، ويظهر الصباح رويداً رويداً من وراء الحجب في هاته الساعة كانت زينبْ تتمطى في مرقدها، وترسلُ في الجو الساكن الهادئ تنهدات القائم من نومه، وعن جانبيها أختها وأخوها ما يزالان نائمين، فانسحبت هي من بينهما …"

بطلة الرواية فتاة مصرية فلاحة فقيرة كانت كبقية بنات الريف المصري ، تقضي معظم وقتها في زراعة القطن أو جمع محصوله أو العناية به، وذات مرّة ومن شدّة الإعياء والتعب سقطت الفتاة زينب مغشيا عليها فأسعفها إبراهيم الخولي رئيس العمال ، ولما استفاقت وجدت نفسها بين يديْه ومن ثَمّ بدأت العلاقة بينهما فرغب فيها زوجة له ورغبت فيه زوجا لها إلاّ أنّ هناك شابا أخر كان يتابعها عن بُعد بنظراته وهو " حامد " ابن صاحب المزرعة وهو طالب يتابع دراسته الجامعية في فرنسا ، والذي فشل في علاقته العاطفية مع ابنة عمّه " عزيزة" التي اختارت لها الأقدار زوجا أخر ،لكن قلب الفتاة " زينب" بقي دائما معلّقا بابن بيئتها وطبقتها "إبراهيم " . لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فوالد زينب تقدّم له أحد معارفه يطلب يد ابنته "زينب " لابنه " حسن" ، وهو ابن عائلة ميسورة الحال فوافق الأب دون تردّد ودن أن يستشير الفتاة في هذا الأمر كعادة أهل الريف المصري وتمّت صفقة الزواج وزفّت "زينب" إلى بيتها الجديد لكن قلبها بقي معلّقا بمن تُحب وهو إبراهيم . وفي هذه الأثناء استدعي "إبراهيم" لتأدية الخدمة العسكرية في السودان بـ (أم درمان) لأنه عاجز على دفع البدل (أي ثمن مقابل عدم الخدمة)، وبعد رحيل إبراهيم إلى السودان ساءت صحة زينب واستبدّ بها المرض والسعال الحاد وراحت تتقيّأ الدم إنّه مرض السّل الفتّاك التي أسقطها طريحة الفراش ولم تتَعافَ حتى تمكّن منها الموت...ماتت الفتاة ومعها رحل سرّها ماتت ضحية الأعراف والتّقاليد من جهة وهذا الوباء اللعين الذي يفتك بالطبقات الفقيرة من جهة أخرى .

وهكذا تنتهي أحداث الروايةُ بزواج عزيزة التي أحبها حامد من رجلٍ غريب يسافر بها إلى مكان أخر ، ويغادر إبراهيم عشيقُ زينب إلى العسكرية في السودان،وتتدهور الحالة الصحية لـلفتاة " زينب" بعد زواجها ، والتي ظلّت مرتبطة عاطفيّا بإبراهيم ، فهو لم يغادر مخيلتها حتى فارقت الحياة .

وفي نهاية الرواية " طلبتْ زينبْ إلى أمّها أن تأتيها بمنديلٍ محلاوي هو منديلُ إبراهيم موضوع في صندوقها وأخذته بيدها فوضعته على فمها ثم قلبها وكانت آخر كلمة لها أن يوضع المنديلُ معها في قبرها ، وفي وسط الليل أقفلت عينيها وراحت إلى أعماق سكونها وارتفع صراخُ العجوزين يعلن في الفضاء موتها ."

وتتكوّن الرواية من ثلاثة فصول هي مراحل الرواية

**الفصل الأول :** ويبدأ بوصف الطبيعة المصرية الخلاّبة ، ومن خلالها يصف الفتاة المصرية (زينب) التي تضطلع بمهام البطولة في أحداث الرواية ، وهي تنهض باكرا لتبدأ يومها بالأشغال المنزلية إلى جانب عملها في حقل لقطن لمساعدة أهلها الفقراء ، وهنا تبدأ محاولة حامد نجل محمود وجيه القرية وصاحب المزرعة ، غير أن زينب لا تأبَهْ به لأن قلبها يميل إلى إبراهيم رئيس العمال ، وهنا تتزوج بشاب أخر اختاره لها والدها وانتقلت الفتاة إلى بيتها الجديد مُكرهة .

**الفصل الثاني :** يتَحدّث عن علاقة حامد بابنة عمّه (عزيزة) غير أنه فشل في هذه العلاقة وتزوجت الفتاة من رجل أخر ورحلت معه .

**ـ الفصل الثالث :** وفيه تنتهي أحداث الرواية بمرض (زينب) بمرض السل وبسببه فارقت الحياة وقلبها مُتيم بـ (إبراهيم) رئيس العمال الذي كانت ترغب فيه زوجا لها

**البنية السرديّة للرواية :**

مفهوم البنية : هي مجموع العلاقات الداخلية والتي لا يمكن فهم أي عنصر من عناصرها إلاّ من خلال علاقته بالنسق الكليّ الذي يعطيه مكانة في النسق [أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله ،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت2005،ص19.]

ـ **الزمن** **:**

بما أنّ الرواية واقعية جرت أحداثها قبيل الحرب العالميّة الثانية ، فإنّ الزمن الخارجي العام للرواية إرهاصات الحرب العالمية الثانية ، والزمن الطبيعي أيام الصيف حيث يقضي الطالب حامد عطلته الصيفية في عزبة والده بكفر غنام بالدقهلية كما استعان محمد حسين هيكل ببعض الأزمنة المساعدة ، كالزّمن الداخلي الذي تَعيشه الشخصية المركزية.

**تقنيات الزمن منظور المدرسة البنيوية**  :

**السّرد الاستذكاريّ :** فهو مقطع سرديّ يشير إلى الزّمن الذي يتناوله هذا المقطع السردي بالذات بعد فوات الأوان للتذكير به [محمد سويرتي، النقد البنيوي والفن الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء المغرب ،ص54] ، ومن أمثلة ذلك : "فكلما مرّت تحت الأشجار اليانعة بأوراقها الزاهية وزهورها الجميلة، وسمعت أغاريد الطير الفرح سمعت دائبًا في قلبها صوتًا يناديها ويذكرها بماضي أيامها" وفي موقف أخر " ثم طلبتْ زينبْ إلى أمّها أن تأتيها بمنديلٍ محلاوي هو منديلُ إبراهيم موضوع في صندوقها وأخذته بيدها فوضعته على فمها ثم قلبها وكانت آخر كلمة لها أن يوضع المنديلُ معها في قبرها ، وفي وسط الليل أقفلت عينيها وراحت إلى أعماق سكونها وارتفع صراخُ العجوزين يعلن في الفضاء موتها ." وقوله : " كان طفلا كثير الدلال ، كثير البكاء ، موضع الإعزاز من جميع مَنْ في الدار ... "

**السّرد الاستشرافيّ :** الاستشراف أو الاستباق ،كل مقطع يروي أحداثا سابقة عن أوانها، أو يمكن توقع حدوثها ، ويسمّي الناقد الفرنسي البنيوي جيرا جينيت هذه التقنية (Prolepse)،وهي تتميّز بإمكانية وقوعها قبل حدوثها" إنّها كلّ مناورة سرديّة تهدف إلى الحديث عن حادثة مستقبلية أو استدعائها بصورة مسبقة " [كريستين منونتالي ، جيرار جينيت ،نحو شعرية منفتحة ، ترجمة غسان السيد ووائل بركات ،دار رحاب ،ط1، 2001 ،ص82] على عكس ما لاحظنا في الاستذكار أو الاسترجاع .. كقول إبراهيم وهو يحاول مُفاتحة زينب في الموضوع " وإبراهيم ليس أقل منها اشتغالًا، يجاهد ما استطاع لحكم نفسه، ويعمل لكتم كل ما يجول فيها، وإن غض بصره كلما مرت به، وأخيرًا عزم على مفاتحتها بحبه متى استطاع الخلوة بها، فلم يعد في قوس صبره هو الآخر "

**ـ الإيقاع السريع للسّرد**

**ـ الحذف : (تسريع السرد)**

الحذف (L'ellipse)أو الإضمار والثّغرة والقطع والقفز " ونسمي حركة القص قفزا، حين يكتفي الراوي بإخبارنا بأن سنوات أو أشهرا مرّت دون أن يحكي عن أمور وقعت في السنوات أو في تلك الأشهر .. " [يمنى العيد ،تقنيات السرد الروائي في المنهج البنيوي،ص82] ، ومن يمكن القول إنّ الحذف من أهمّ مظاهر تسريع السرد في الرواية لنّ لا يكترث بالتفاصيل و الجزئيات التي لا تؤثر في مُجرايات الأحداث . " حيث تقضي معظم وقتها في العمل الشاق في المزرعة من مطلع الشمس إلى غروبها يضاف إلى ذلك عملها في البيت لمساعدة والدتها كلّ هذا الجهد أثّر سلبا على صحتها" ، وقوله "وبعد أيام تقابلا، فأحست بالهناءة كلها، وصارت تجد في كل نظرة من نظرات إبراهيم أكبر السعادة" وفي موقف أخر أيضا "زينب تتابعت الأيام تفنى واحدًا بعد الآخر، وكل يوم يمرّ يزيدها شجنًا وتطلبًا للوحدة، فإذا ما خلت إلى نفسها أسلمتها للبكاء .. وبدأت تحس بوحدة فظيعة تزداد من يوم ليوم، ولا تجد في مخلوق مؤنسًا

**ـ الخلاصة (Sommaire):**

الخلاصة أو المُجمل أو التّلخيص (résumé) كلها مصطلحات واحدة لمفهوم واحد،يُقصد به تسريع حركة لوتيرة السّرد ، حيث " تختزل الأيام والشهور والسنوات في بعض الفقرات السردية أو بعض الصفحات دون تقديم التفاصيل عن الأقوال والأفعال " [ discours du récit,p127 G.Genette,]

ومن ثم تلخص أحداث امتدّت على مراحل زمنية طويلة ، في بضع جمل أو أسطر.

" لذلك كان من بين جماعة العمال أمثالها ذلك المحب الذي تريد زينب ، وفي صفوفهم كانت تريد أن تقع عليه، ولقد بدأت تحسّ من زمان أنها عثرت على صاحبها في إبراهيم الذي تراه كل يوم " .

. **الإيقاع البطئ للسّرد :**

**ـ المشهد La scène) )**

زمن السّرد يساوي زمن القصة هو المقطع الحواريّ إلي يأتي في كثير من الأحيان متون السرد ،لأنّ المشهد يتزامن فيه (الحدث والنص) " حيث ترى الشخصيات وهي تتحرّك وتمشي وتتكلّم وتتصارع وتفكّر وتحلم " [سيزا قاسم بناء الرواية ، ص90،91]

تبادلت عزيزة رسائل الحب مع حامد ويظهر ذلك في " أخي حامد ، لا أقدر أن أصف لك مبلغ السرور والفرح الذي جاءني به كتابك ، تصور أكبر درجاتهما ، فكنت أكثر من ذلك وسرورا فرحا ...

فيرد حامد عليها بجوابه : يا عزيزتي نعم، أريد أن أراك ونكون وحدنا .تلك أحلامي من عام فائت أريد تحقيقها ويمنعني موقفك عن شيء من أملي... "

**ـ الوقفة (La pause)**

إنّ الحديث عن الوقفة يعني الحديث عن الوصف داخل الرواية ، حيث تمثل المقاطع الوصفية توقفا تامّا أو جزئيا لزمن الرواية ، الوقفة " تقنية سرديّة تقوم على الإبطاء المفرط في عرض الأحداث لدرجة يبدو معها وكأنّ السّرد قد يتوقّف عن التنامي مُفسحا المجال أمام السّارد لتقديم الكثير من التّفاصيل الجزئية على مدى صفحات وصفحات " [عبد العالي بوطيب،إشكالية الزمن في النص السردي،مجلة فصول.مجلد12،عدد1،1998،ص139]، كقول الكاتب "وأصبحوا جميعًا في بلدهم الصغير المحبوب يحيط بهم أفقه، ويمرحون أحرارًا تحت شمسه الشديدة وسمائه الصافية. والمزارع يقوم عليها القطن قد ظهر وسواسه يبسم بشيرًا بما يكنّ من اللوز ويغطي اللانهايات الواسعة تنطبق الأرض والسماء دونها". وقوله : "طابت لحامد المزارع حين رأى ما فيها من جمال؛ فالنباتات والشجر والغدران والهواء الحر والعاملات القويات، جعلته يتردّد عليها كل يوم أصيل النهار". وأيضا "والابن في عمله قلّ أن يرد هذا الأمر على باله، وإن جاء إلى نفسه جاء معه أنّ من ورائه من يُفكر فيه، أو أمل له بعض الآمال، ثم ما أسرع ما ينساها! وعلى هذا ظلوا جميعًا.. ثم جاء الصيف". وفي آخر لحظات زينب " وفي وسط الليل أقفلت عينيها وراحت إلى أعماق سكونها وارتفع صراخُ العجوزين يعلن في الفضاء موتها ." وفي وصفه للطبيعة "ارتفعت الشمس حين نقوا خطين، وأرسلت بشعاعها تغمر هاته الشجيرات التي ما تزال في مبتدأ حياتها، ومع ذلك يعني بها الفلاح والمالك أكثر من عنايتهما بأبنائهما".

**الفضاء** **:**

الفضاء هو مجموع الأمكنة على حدّ قول الناقد المغربي حميد لحميداني ، ففي رواية زينب يُعدّ المكان مكوّنا أسياسيًّا من مكوّنات الرواية، حيث يمعن الكاتب في توصيف الطبيعة الريفية في مصر وحياة أهلها الفلاحين البسطاء وعاداتهم وتقاليدهم وبساطة عيشهم ، وطريقة تعاملهم مع ظروف الحياة كالفقر والزواج القسري للبنات دون مراعاة مشاعرهن والعمل الشاق في حقول القطن والمرض دون علاج وتفشي الأمية والجهل وظاهرة البدل في الخدمة العسكرية ، وكان الفضاء المفتوح هو الغالب على الرواية لأنه من البداية استأثر العنوان بمحتوى الرواية (مناظر وأخلاق ريفية) ، ولذا انحاز الكاتب إلى جمال الطبيعة فرارا من فوضى المدينة وتناقضاتها الاجتماعية قائلا :"طابت لحامد المزارع حين رأى ما فيها من جمال؛ فالنباتات والشجر والغدران والهواء الحر والعاملات القويات، جعلته يتردّد عليها كل يوم أصيل النهار". ثم يضيف قائلا "وأصبحوا جميعًا في بلدهم الصغير المحبوب يحيط بهم أفقه، ويمرحون أحرارًا تحت شمسه الشديدة " وقد وُجهت انتقادات للكاتب وطريقة وصفه للطبيعة المصرية لأنه كان يراها بعيون أوروبية لا تعكس حقيقة الواقع المصري .

**الشخصيات الروائية :**

الشخصية عند تودوروف " إن قضية الشخصية هي قبل كل شيئ قضية لسانية ، فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات لأنهل ليست سوى كائنات ورق " [مفهوم حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،(الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية)الدار البيضاء المغرب ،ط2،2009،ص213ـ 217]، تَبدأ أحداث الرواية بـالشخصية المركزية (زينب) وتَنتهي بموتها، فهي أنموذج للمرأة الريفية المصرية المقهورة داخل البيت وخارجه وليس لها حقّ التصرف حتى في اختيار شريك حياتها ، و الشخصية الثانية (حامد) أحد أبناء السيد محمود وجيه القرية وصاحب مزرعة القطن عاش حياته مدللا بين إخوته ، أمّا الشخصيات المساعدة ، إبراهيم الخولي رئيس العمال ؛يَتولّى شؤون الفلّاحين ، والخطيب المفترض لزينب . (حسن) شخصيّة بسيطة يدير أرض عائلته الميسورة تَزوّج بزينب تحت الإكراه الاجتماعيّ التي اختارها له والده،. و(عزيزة) ابنة عم حامد يَقع في علاقة عاطفية معها لكنهما فشلا . والسيّد محمود والد حامد من وُجهاء القرية وأكبر إخوته ، له ثمانية أولاد ، وسمعة طيبة ومحترمة بين أهل البلد كما تربطه علاقة وُديّة مع أسرته ، وخليل والد حسن زوج زينب وأحد كبار الفلاحين في القرية .

**اللغة الروائية :**

تنبثق لغة السّرد من البيئة التي تجري في أحداث الرواية ، فلكل بيئة سرديتها وبما أنّ الرواية تجري وقائعها في الريف وفي وسط فلاحيّ بسيط اعتمد الكاتب محمد حسين هيكل لغة هي مزيج بين اللغة الفصحى و اللغة العاميّة المصرية ، واجتهد في استخدام العاميّة بما يَتناسب مع الشَخصيّات ذات المنبت الريفي ، فهو لاينطق على لسانها بل يتركها تتحدث بنفسها عن نفسها بطلاقة وتفصح عن أفكارها وهواجسها ، كما أنّ اللجوء إلى وصف الطبيعة بكل ملامحها المحلية وشخصياتها ذات التقاسيم المصرية يستوجب الألفاظ العاميّة المناسبة لهذه الحالة أو لهذا الموقف، وهذا التّعبير أمر تَقتضيه الكتابة السردية خاصة إذا تعلّق الأمر بالكتابة السردية المعاصرة